خامسا .ثمرات الإيمان :

لا شكّ أنّ الإيمان الصّحيح الصّادق يثمر ثمرات واضحة نافعة على الفرد و المجتمع ، وقد حاول العلماء ذكر بعض هذه الثمرات من باب التّوضيح و التّقريب إلّا انّ الصّحيح أنّ هذه الثمرات يلمسها المؤمن و يتذوّقها دون الحاجة إلى بحث او تأمّل ، لأنّ الإيمان كما أخبر الصادق المصدّق له طعم خاصّ و بمقدور المؤمن تذوّقه و استشعار حلاوته ؛ قال صلّى الله عليه و سلّم : " ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربّا و بالإسلام دينا و بمحمّد رسولا" ، وقال صلى الله عليه و سلّم :" ثلاث من كنّ فيه و جد حلاوة الإيمان : أن يكون الله و رسوله أحبّ إليه ممّا سواهما ، و أن يحبّ المرء لا يحبّه إلّا لله و أن يكره ان يعود إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار".

و إذا أردنا حصر بعض هذه الثمرات فإنّ تجلّياتها تتبدّى على الفرد و المجتمع :

أ). على الفرد :

الإيمان يسهم في تزكية النّفس : و تشمل هذه التّزكية : النّفس و الفكر و العمل.

- أمّا تزكية النّفس تمنح صاحبها ثلاثة أمور أساسية :الطّمأنينة و السكينة ، العزّة و القوّة ، و وحدة النّفس واجتماعها .

دليل الطمأنينة و السكينة فقوله تعالى : ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب" و قوله تعالى :" ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون الذين ءامنوا و كانوا يتّقون لهم البشرى في الحياة الدّنيا و في الآخرة" و قوله صلى الله عليه و سلّم " عجبا لأمر المؤمن إنّ أمره كلّه خير إن أصابته سرّاء شكر فكان خيرا له و إن اصابته ضرّاء صبر فكان خيرا له"

و دليل العزّة العزّة و القوة قال تعالى : " و لا تهنوا و لا تحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين" و قال سبحانه :" و لله العزّة و لرسوله و للمؤمنين" .

و دليل وحدة النّفس و اجتماع الروح و البعد عن الشتات و الضياع قال تعالى عن المشركين : " وجحدوا بها واستيقنتهم أنفسهم ظلما و علوّا " فالآية توضّح أنّ الصراع النّفسي النّاجم عن الكبر و الجحود و اتّباع الهوى جعلتهم في حيرة و اضطراب واحتجاب عن الحقّ فتشتّت شملهم و تفرّقت نفوسهم.

- و أمّا تزكية الفكر فإنّه يمنح صاحبه : سعة النظر ، تحرّر الفكر ، و وحدة المعرفة .

و المقصود ب سعة النظر أنّ نظر المؤمن ليس مقصورا على العالم المادّي الذي ينتمي إليه بل يعتقد أنّ هناك عالما آخر أشدّ رحابة و أكثر سعة من هذا العالم ، و هو يصدّق أنّ الدينا مجرّد ممرّ و ليست دار مستقرّ و أنّ كلّ الخق آيلون إلى الآخرة ، شاءوا أم أبوا ؛ قال تعالى : " يا أيّها الإنسان إنّ كادح إلى ربّك كدحا فملاقيه " ، و من لوازم سعة النظر الإيمان بأنّ الإنسان مادّة و روح و ليس ذا بعد واحد مادّي كما يعتقد الماديون الملحدون : " و يسئلونك عن الرّوح قل الروح من أمر ربّي و ما أوتيتم من العلم إلّا قليلا" و أنّ هذه الروح نفخة ربانية :" فإذا سوّيته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين".

و معنى تحّرر الفكر فهو تحرّر من التّقليد ومن الآبائية ، قال تعالى عن المشركين : " إنّا وجدنا ءاباءنا على أمّة و إنّا على آثارهم مقتدون" و التحرّر من الهوى و الكبر قال تعالى عن الكفّار : " و جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما و علوّا". و التحرر أيضا من الخرافة و الأساطير و غيرهما.

و معنى وحدة المعرفة هو الإعتقاد أنّ الكون بما فيه هو خلق الله و القرءان هو أمر الله ، و لا تعارض بين الخلق و الأمر ، قال تعالى : " ألا له الخلق و الأمر " ، و ما وجد من تعارض فهو بسبب ضعف العقول أو عدم ثبوت دليل الوحي ، وقد ألّف اللعلماء كتبا ترفع التعارض بين العقل و النّقل من ذلك كتاب ابن تيمية " دفع تعارض العقل و النّقل".

- و أمّا تزكية العمل فإنّ يمنح صاحبه : التوجّه نحو السداد الخلقي ، و التوجه نحو النّفع العامّ.

و المقصود بالسّداد الخلقي هو الضمير الذي يجعل المؤمن يراقب الله في كلّ أحواله و يسعى إلى تسديد أفعاله و العمل على بروز خلق الإحسان في كلّ شؤونه ، و لا شكّ أنّ التفاوت في الدرجات يوم القيامة يكون كما أخبر الصادق المصدّق بحسب حسن الخلق ؛ قال صلى الله عليه و سلّم :" أقربكم منّي مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا" .

و المقصود بالنّفع العامّ أنّ العقيدة تجعل المؤمن حريصا على تعدية أفعاله الخيّرة إلى سائر النّاس ؛ قال صلى الله عليه و سلّم :" إذا قامت القيامة و في يد أحدكم فسيلة فليغرسها".

ب). أثره على المجتمع :

يمكن حصر أثر الإيمان على المجتمع في ثلاث نقاط أساسية : وحدة الجماعة ، تحرّر الجماعة ، التكافل الاجتماعي.

- فأمّا أثره في **وحدة الجماعة** فيتجلّى في ثلاثة مظاهر :

– وحدة الشعور: إنّ الإيمان لا يزكّي الفرد لوحده بل له القدرة على تزكية الجماعة ، فيحصّل الفرد رشداجماعيا يشمل الروابط الاجتماعية و العلاقات بين النّاس ، بحيث تصبح الجماعة المؤمنة متماسكة مترابطة تجمعها أواصر الأخوّة و الرّحمة و التعاون و التكافل ؛ قال صلى الله عليه و سلّم " مثل المؤمنين في توادّهم و تراحهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمّى و السّهر".

– وحدة الولاء : قال الله تعالى : " و أنّ هذه أمتكم أمّة واحدة و أنا ربّكم فاعبدون " ، فجعل الله تعالى وحدة الجماعة من لوازم توحيده و إخلاص العبادة له ، فلا يعقل أن يعبد

المسلمون ربّا واحدا و تكون قلوبهم متنافرة متباغضة متدابرة ، قال سبحانه : " لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألّفت بين قلوبهم ولكنّ الله ألّف بينهم إنّه عزيز حكيم".

– وحدة الغاية : تجعل المسلمين متّفقين متوافقين ، لأنّ ما يجمعهم أكثر ممّا يفرّقهم ، فلا مكان للعصبيات و القوميات ، قال سبحانه : " واعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرّقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا".

* و أمّا أثره في **تحرير الجماعة** فيتجلّى في مظهرين أساسين:

– التحرّر من الآبائية و التّقليد للأجداد : وقد ردّ القرءان الكريم على شبهة كان يردّدها المشركون : " إنّا وجدنا ءاباءنا و إنّا على آثارهم مهتدون" فالجماعة المؤمنة متحرّرة لأنّها تستلهم الهدى من الله وحده ، فلا مكان للعصبية الدّينية و لا مكان لهوى الآبائية.

– التحرّر من العبودية لغير الله تعالى : كالإستعمار و غيره من أنواع العبودية التي يفرضها البشر على بعضهم بعض ، فالجهاد فريضة دينية مقدّسة شرعها القرءان لرفع الظلم و التخلّص من كلّ أنواع العبوديات لغير الله تعالى ، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فريضة واجبة يلزم الجماعة المؤمنة القيام بها حال شيوع الفواحش و المنكرات ؛ قال سبحانه : "كنتم خير أمّة أخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله"

* و أمّا أثره في **التكافل الاجتماعي** فيتجلّى في التعاون و التناصر و القيام بحقوق المستضعفين و محاولة تحقيق مبدا الكرامة الإنسانية للنّاس جميعا ، و البعد عن الإستبداد بامال أو السّلطة على حساب الفئات الضعيفة و حرمانهم من الحقوق الأساسية التي تحفظ كرامتهم .